هل نكتفي بهذا القدر من الاشارات الهامة في الشكل العام للبحث ؟ اعتقد ان الاشارات السبعة السابقة تكفي لتكون عينة ذات دلالة عن اخطاء كثيرة في الشكل · لذا نتوقف عندها لننتقل فورا الى ملاحظاتنا عن محتوى الكتاب ·

محتوى الكتاب :

نجد ان الضرورة تستدعي ابداء تحفظنا اولا على ما ورد فيه من معلومات يحاول الكاتب ان يجعل منها تاريخا للصهيونية · ودواعي التحفظ عندنا كثيرة ، نبرز منها التالي فنقول ، ان للظواهر الصغرى عدة وجوه فما بالك بالظواهر الكبرى· والباحث اكتفى بايراد بعض البعض لوجه واحد من وجوه ظاهرة الصهيونية · كيف ؟ لاكون اكثر تحديدا ، اذكر ، بأن صبري جريس قارب الصهيونية من منظور صهيوني فقط اعتمادا على ما كتبه صهاينة معروفون · وفي هذا وجه واحد من وجوه الصهيونية كظاهرة · فلها وجه ثان تورده المصادر التركية وهي كثيرة ، ووجه ثالث تورده المصادر الانجليزية ورابع موجود في المصادر الفرنسية وخامس في الروسية وسادس وسابع وهلمجرا ·

ومن يتصدى للتاريخ عليه ان يحاول ويحاول لاستكمال كل الوجوه المؤيدة والمعارضة · اما باحثنا الاستاذ جريس ، فحتى الوجه الصهيوني لم يستكمله ايضا · فهناك الكثير من المراجع الاصيلة والهامة كتبها اما صهاينة او يهود بلغات اجنبية لم يحاول الاستفادة منها ، على الرغم من وجود ثبت لها في كتاب جانسن وفي المقالة الممتازة للبروفسور ستيفن هلبروك عن الجذور الطبقية في العقيدة الصهيونية والمنشورة في العدد الاول من المجلد الثاني من مجلة دراسات فلسطينية عام ١٩٧٣ ،

بعد هذا التحفظ المبدئي ندخل صلب المناقشة فورا بتحديد ملاحظاتنا كالتالي :·

١) تحفل الدراسة بالكثير من التناقضات الداخلية لا يجد القارىء لها تفسيرا · ومن امثلتي على هذه التناقضات اختار :ـ

أ ـ في الصفحة ١٢ يحدد الاستاذ جريس بأن طرد اليهود من اسبانيا سنة ١٤٩١ يشكل مقدمة نشوء الصهيونية مع انه بعد صفحتين من هذا التحديد اي في الصفحة ١٥ يتضح بأن بريطانيا قد سبقت اسبانيا بكثير في هذا الشأن لانها كانت قد طردت اليهود منها سنة ١٢٩٠ · فاذا كانت المسألة اليهودية هي سبب نشوء الصهيونية كما يدعي الكاتب ، فهذه المسألة كانت في بريطانيا اقدم منها في اسبانيا ·

ب ـ في الصفحة ٢٣ يؤكد الكاتب ان معرفة القراءة والكتابة كانت منتشرة بين اليهود حتى في العصور الوسطى بسبب شعورهم بالحاجة لاكساب اولادهم اصول ديانتهم وبعد ذلك في الصفحة ٢٤ يناقض الكاتب نفسه فيقول ، ان الكتب العبرية لم تحظ بانتشار واسع نظرا لقلة عدد قراء العبرية حينذاك ·

ج ـ يذكر الكاتب في الصفحة ٣٩ ان عدد اليهود العاملين في روسيا وبولونيا سنة ١٨٩٧ بلغ ١ر٥٣٠ر٠٠٠ نسمة من بين عدد اليهود الاجمالي البالغ نحو خمسة ملايين نسمة اي ان قوة العمل اليهودية كانت في تلك الفترة حوالي ثلث عدد اليهود وهذا مناقض لما هو معروف عن الاوضاع الاقتصادية في تلك الفترة ولما هو معروف عن اتجاهات قوة العمل في العالم وعن الانشطة الاقتصادية التي يعمل فيها اليهود عادة · فحتى الان لا تزال قوة العمل في الولايات المتحدة الاميركية لم تصل ٤٠٪ من عدد سكانها وهي من اكبر ان لم تكن اكبر الدول الصناعية في العالم ·